سعيد بن بطريق (راجع طبعتنا لهذين التاريخين ص ١٢٨ــ١٢٩) قال يحيى في تاريخ سنة ٣٥٦ هجريّة الموافقة للسنة ٩٦٧ مسيحيّة عند ذكر ابن مانك قاتل بطريرك انطاكية كريصطفورس قال :

« وانفذ ابن مانك قبل الصبح قرماً الى كنيسة القسيان وقبضوا على ما وجدوهُ في منزل البطريرك وفي خزانة الكنيسة وعاقبوا الخازن الى ان أظهر لهم آنيةً كانت مستورة واخذوا الفضة والفرش وغيرها ايضاً ولم يتركوا غير النحاس ومصاحف ليس بكثيرة واخذوا اليهم كرسي مار بطرس السليح وهو كرسيٌّ من خشب النخل المصبَّح بفضة وحفظوهُ في دار شيخ من شيوخهم يُعرف بابن عُمر ولم يزل في داره الى ان ملكوا الروم المدينة »

فهذه الشهادة عن كرسيّ القديس بطرس الرسول تقطع بسهم جهيزة كلام كل خطيب . فلا نشكّ انّ حضرة الكاتب البوليّ يتّخذها حجّة للدفاع عن هذه الحقيقة التي من شأنها ان تشرّف طائفتهُ الملكيّة وطوائف سائر البطاركة المنتمين الى انطاكية كالسريان والموارنة واللاتين

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء النصارى (تابع)

وتوفي في ٢٤ آذار من السنة ١٩١٠ الدكتور ﴿ الياس بك مطر ﴾ المولود في حاصبيّا سنة ١٨٥٧ والمتخرّج في بيروت في مدرستي الثلاثة الاقمار والبطريركية ثمّ في الكلية الاميركية فدرس الصيدلية ونال شهادتها في الاستانة ثمّ اضاف اليها هناك درس الطب واتخذهُ الوزير الشهير جودت بك مُعلّماً لابنه علي سَداد ثم استصحبهُ الى

دمشق لما جاء والياً على الشام فمشى طبياً للبادية ودرس الشرع هناك في مكتب الحقوق والشرائع الدولية فاصبح من الادباء المتازين وهو يتقن التركية والافرنسية والانكليزية . ونشر في العربية كتابهُ تاريخ سوريا سنة ١٨٧٤ ثم شرح مجلة الاحكام وانشأ مجلة الحقوق بالعربية والتركية فظهرت مدة خمس سنوات . ولهُ ايضاً كتاب حسن في علم حفظ الصحة

وفي هذه السنة عينها في شهر تشرين الاول توفي في دلبتا المرحوم ﴿الياس باسيل فرج﴾ الذي خدم زمناً طويلاً مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس الشريف بصفة ناظر ومصحح مطبوعات . ونشر فيها من قلمه بعض الآثار النثرية والشعرية

خسرت الدولة المصرية في ١٧ أيار سنة ١٩١١ احد عُمَّالها الكبار ﴿جرجس بك حنين﴾ . وُلد في الفيوم ثم درس في مدارس المرسلين الاميركيين ودخل في خدمة الحكومة في دواوينها المالية والادارية وهو في اثناء العمل يهتم بتوسيع دائرة مداركه ومراقبة احوال وطنه الزراعية والمالية والعمرانية حتى اصبح من اقدر رجاله في التدبير والسياسة . ووضع في ذلك كتباً نفيسة ألفت اليها نظر ارباب الدولة فاتخذوها حجة في بابها منها كتابهُ الشهير « الاطيان والضرائب في القطر المصري » ومجموعه « قوانين الاموال المقررة ولوائحها » وخطابهُ « في الضرائب العقارية » . وكان المذكور احد الساعين الى اصلاح ملته القبطية والمولعين بدرس لغتها وتاريخها

ومن موتى السنة ١٩١١ في ٢٢ نيسان الكاتب الضليع ﴿نجيب ابراهيم طراد﴾ الذي ولد في بيروت سنة ١٨٦٠ ودرس بضع سنوات في مدرستنا الكلية ثم أنِسَ من نفسه قدرةً على الكتابة فتقلب في عدة محلات في بيروت ومصر ونشر مقالات حسنة في جرائدها وانشأ جريدة الرقيب في الاسكندرية فلم تنل رواجاً فلزم العزلة في وطنه واشتغل بالكتابة فصنَّف عدة تآليف منها تاريخ الرومانيين وتاريخ الدولة الرومانية الشرقية وتاريخ مكدونيا وعرَّب بعض الروايات نأخذ عليه من جملتها تعريبهُ لرواية اليهودي التائه المشحونة كذباً وافتراء

وبعد نجيب ابراهيم بسنتين في ٧ حزيران ١٩١٣ أصيب آل طراد بفقد احد اعيانهم ﴿الياس جرجس طراد﴾ ولد في بيروت سنة ١٨٥٩ ودرس في المدرسة الوطنية البستانية ثم تعاطى التعليم والمحاماة وصار عضواً في محكمتي البداية

والاستئناف ودخل الجمعية العلمية السورية وساعد الجمعيات الخيرية وخطب في النوادي الوطنية . ولهُ آثار كتابية حسنة كتعريب عدَّة روايات تمثيلية وفصول عديدة في القوانين والنظامات وفي السياسة والعمران نشرها في صحف الاستانة وسورية ومصر وصنَّف ترجماناً في اللغتين الانكليزية والعربية ولهُ ارجوزتان في الفرائض والجزاء . وقد جمع مآثرهُ جناب الاديب جرجي نقولا باز في مجلَّد واسع قدَّم عليه ترجمة حياته وضمَّنهُ كثيراً من شعره الطيِّب . فمن لطيف اقواله ما وصف به غضب النساء

غضبُ المرأة صعبٌ سادتي دونهُ كلُّ عناءٍ وألمْ
كلُّ ما قالتهُ صدقاً كان ام خطأً قالت لها الناسُ : نعَمْ
لم يَعُدْ امرٌ ولا حُكْمٌ لهم فهيَ الآمرُ فيهم والحَكَمْ
قُل لمن خالف آراء لها : انت خالفتَ شعوباً وأُمَمْ
عُدْ وإلَّا صوَّبتْ لاحظُها أسهماً ترميك عن قوس النِقَمْ

وقال في ملامة الجهال وطعنهم في العقلاء :

انَّ مقال الناسِ من جاهلٍ لا يجلبُ الغمَّ لاهل النظرْ
كذلك الاحجارُ لا يُرتقى بها سوى الاشجار ذات الثمرْ

وقال بمعناه :

اذا رأينا حجراً اصاب كأس الذهبِ
فلا يزيد قدرهُ وقدرُها لم يَذْهبِ

وفي اوائل السنة ١٩١٢ في ٩ كانون الثاني توفي الصحافيّ الشهير ﴿سليم عبَّاس الشلفون﴾ . ولد في بيروت سنة ١٨٥٣ وتعلَّم في مدرسة الآباء اليسوعيين في حيّ الصيفي واحكم فيها اصول اللغتين العربية والافرنسية ثم لازم الشيخ ابرهيم اليازجي بضع سنوات فأتقن الكتابة نثراً ونظماً ثمَّ اشتغل مع نسيبهِ يوسف الشلفون وحرَّر فصولاً في جريدة النجاح ووقف منذ ذاك حياتهُ على الصحافة فقضى معظم أيامهِ في خدمتها في بضع عشرات من الجرائد في بيروت كثمرات الفنون والتقدُّم والمصباح وبيروت ولسان الحال وفي الاسكندرية ومصر كالعصر الجديد والمحروسة . وسافر الى الاستانة ونال رضى ارباب الدولة العثمانيَّة وكان لمقالاتهِ السياسيَّة وقعٌ عظيم

فاثارت عليه غضب الحكومة المصرية فنجا بنفسه منها هارباً

وفي ١٨ آب سنة ١٩١٢ فقدت الآداب العربية احد انصارها ﴿الشيخ سعيد الخوري الشرتوني﴾ توفاه الله عن ٦٣ سنةً في ضواحي بيروت في الطيُونة. كان مولده في شرتون من قضاء الشوف (لبنان) درس اوّلا في مدرستي اعبيه الاميركيّة وسوق الغرب الانكليزية وبعد أن حصل على مبادئ اللغة والادب صرف همّتهُ الى المطالعة والدرس الخاصّ فبلغ بهما مبلغاً حسناً حتى انتدبتهُ مدرسة عين تراز الى تعليم العربية ثمّ درّس في مدرسة الروم الكاثوليك في دمشق ثم في مدرسة الحكمة والمدرسة البطريركيّة في بيروت ولم يزل منذ ذاك الحين يضاعف جهدهُ في اتقان الفنون الادبيّة حتى برع فيها. ولما فتح اليسوعيُّون كليّتهم اتّخذوه كاستاذ لتلامذتهم وكساعد لتصحيح ونشر مطبوعاتهم فقضى في تينك المهنتين اكثر من عشرين سنة ولم يدعهما إلّا للقيام بامور بيتهِ. ولم يزل مع ذلك يكتب ويصنّف حتى اواخر حياتهِ. وكان باكورة مصنّفاتهِ انتقادهُ على كتاب غنية الطالب ومنية الراغب لاحمد فارس الشدياق. ومن اكبر مؤلفاتهِ قاموس اقرب الموارد في ثلثة مجلّدات والشهاب الثاقب في المراسلات والغصن الرطيب في الخطاب والمعين في تمرين الاحداث على الانشاء ومطالع الاضواء في مناهج الكتّاب والشعراء ونجدة اليراع في الانة وحدائق المنثور والمنظوم. وقد عُني بتحشية بحث المطالب للسيّد فرحات. ونشر كتباً مفيدة كنوادر ابي زيد ونفصل الخطاب مع مخاطبات فيلون ولهُ عدّة مقالات ادبيّة وانتقاديّة ومنظومات شتى في الجرائد والمجلّات وقد امتاز في طول حياتهِ بفضله وصحّة دينهِ

وفي ذات شهر آب من العام ١٩١٢ توفي أديب آخر ﴿الشيخ امين الحدّاد﴾ شقيق الشيخ نجيب الحدّاد. ولد الشيخ امين في بيروت سنة ١٨٧٠ وهو ابن سليمان الحداد وحنة ابنة الشيخ العلّامة ناصيف اليازجي فنشأ في مهد الادب وجرى على مثال اسرتهِ الكريمة فبرع في العربيّة وسار الى مصر فحرّر مع اخيهِ الشيخ نجيب جريدة لسان العرب اليوميّة ثمّ تولى انشاء مجلّات وجرائد غيرها كانيس الجليس والسلام والجامعة العثمانيّة والبصير الى ان أُصيب بداء الكبد فعاد الى بيروت يطلب الشفاء فثقلت عليهِ وطأة الداء حتى ذهبت بحياتهِ. وللشيخ امين مقالات ادبيّة في الضياء ومجلّات اخرى. وكان شاعرًا مجيدًا فجُمع شعرهُ وطُبع في الاسكندريّة. ومن

ظريف قولهِ في خزّان اسوان:

وما أنتَ خزّانُ المياهِ وطَسْمِها ... وإبليزِها بل خازن الدرّ والتبرِ
تدفّقتَ بالخيرات من كل جانبٍ ... وجمّتَ اقطار المنافع في قطرِ

وقال يقابل بين امانة الكلب وغدر كثيرين من الناس.

ترى الكلب ما إن عضّ أذنَ نظيرهِ ... ونحن تَمَشْنا بعضَنا نُظراءَ
ويا عجباً للكلب زاد مودّةً ... على حين زاد العالمون جفاءَ
اقام مع الانسان منذ نشوئهِ ... يرافقهُ أنّى مضى وتناءى
تسلّم منّا كلَّ شيءٍ مطاوعاً ... سوى الغدر يصبو تُقىً وإباءَ
اذا ما رآنا خائنين وفّى وإن ... رآنا تزيدُ الغدرَ زادَ ولاءَ

وقد اشتهر قبل الشيخ امين ابوهُ ﴿الشيخ سليمان الحداد﴾ واخوهُ ﴿الشيخ نجيب﴾ فنُلحقهما بالشيخ امين. فالشيخ سليمان هو ابن نجم الحداد والد في كفرشيما وهاجر الى مصر فتعاطى فيها التجارة وكان شاعراً محسناً طُبع ديوان شعره «قلادة العصر» سنة ١٨٩١ في الاسكندريّة فمن قولهِ رثاؤهُ للبرنس نابليون ابن نابوليون الثالث الذي قُتل في حرب الزولوس مع الانكليز:

الدمعُ بعدك في العيون قليلُ ... اذ انفقوهُ عليك وهو يسيلُ
لا بدعَ ان يبكيك شعبٌ ماجدٌ ... فيه لنابوليونَ انتَ سليلُ
يا تارك المجد الاثيل بأثمٍ ... في حالٍ يُتمٍ يعتريهِ ذُبولُ
لك مأتمٌ كلُّ البسيطة دارهُ ... تبكي بهِ. وفؤادُها مشغولُ
تبكيك كل العالمين كأنّما ... لك كلُّ شعبٍ في الانام خليلُ
ظنوا وما علموا بأنّ طعينهم ... عينُ الزمانِ وهم لديهِ ترولُ
يبقى بلُبّدنَ ذكر مجدك خالداً ... ابداً ومن باريسَ ليس يزولُ

ولم نقف على تاريخ وفاة الشيخ سليمان ولعلّهُ تخلّف عن وفاة ولديهِ

امّا ﴿الشيخ نجيب﴾ فانّهُ اصاب بنثرهِ وشعرهِ فخراً بلغ بهِ مبلغ الأدباء اليازجيين. ولد في بيروت سنة ١٨٦٧ وهاجر الى مصر مع اهلهِ سنة ١٨٧٣ فتعلّم هناك في مدرسة الفرير ثم عاد الى بيروت فتخرّج على خالَيهِ الشيخين ابرهيم وخليل

اليازجي وجرى على آثارهما . واخذ ينظم الشعر مع حداثة سنه ثمَّ استُدعي الى الاسكندريَّة فكتب في جريدة الاهرام المقالات المستحسنة مع عدَّة روايات تمثيليَّة احرز بها سمعةً واسعة . ثمَّ انشأ جريدة لسان العرب اليومية وحوَّلها بعد مدَّةٍ الى شبه مجلَّة . وقد امتاز بين أدباء زمانه بالتعريب وتأليف الروايات . وشعرهُ من افضل ما نظمهُ الشعراء العصريون . وقد روينا لهُ سابقاً قصيدتهُ في القمر وفي حريق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧ . وقد طُبع ديوانهُ مرَّتين في بعبدا سنة ١٩٠٦ ثمَّ في الاسكندرية بعد وفاته في السنة ١٨٩٩ . دونك مثالاً من نظمهِ قال وقد اقترحت عليهِ الحكومة المصريَّة نَظْم ابيات تُكتَب على محطَّة القاهرة :

يا حُسن عصرٍ بعبَّاس الدُّلى ابتسما ... حتى الحديدُ غدا ثغرًا له وفما

طرائقٌ في ضواحي القطر تُبْلغنا ... اقصى البلاد ولم نَنْتقل بها قدَما

مصرٌ كصفحةِ قرطاسٍ يُنَوِّرُها ... غدا القطارُ عليها الخطَّ والقلما

ارضٌ جاكان خصب النيل منتشرًا ... حتى اتاها قطارُ النار فانتظما

لنا غنيٌّ من قطار السُّحب منسجمًا ... ولا غنى عن قطار النار مضطرما

يجري بها الرزق في جسم البلاد كما ... يجري دمٌ في عروق الجسم منتظما

محطَّةٌ هي قلبٌ والخطوط بدت ... مثل الشرايين فيها والقطارُ دما

مع السلامة يا من سار مرتحلا ... عنَّا واهلاً وسهلاً بالذي قدما

ومن أدباء النصارى المتوفين في السنة ١٩١٣ في ٨ شباط منهما الاستاذ شاهين عطيَّة اللبناني المولود في سوق الغرب سنة ١٨٣٥ درس في قريتهِ مبادئ اللغة ثمَّ انتقل الى بيروت فتعلَّم فيها العلوم اللسانيَّة والمنطقيَّة على الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير . ثمَّ انقطع الى التدريس في مدرسة الروم الاورثذكس المعروفة بالثلثة الاقمار سنين طويلة وتولى تدريس طلبة الكهنوت فتخرَّج عليهِ غبطة بطريرك الروم الحالي وعدَّة اساقفة . وانتدبتهُ الجمعيَّة الفلسطينيَّة الى تعليم العربيَّة في مدرسة بيت جالا فخدمها ١٣ سنة وهو لا يزال يثابر على درس العربية ونوادرها وآدابها فنشر ديوان ابن تمَّام مع بعض تعليقات عليهِ وكذلك شرح رسائل ابي العلاء المعرّي شرحاً خفيفاً قبل ان يتوسَّع فيهِ لستاذ العربيَّة في جامعة اوكسفرد الاستاذ مرغوليوث . ونقَّح

بعض المطبوعات وانشأ الروايات التمثيلية كعاقبة سوء التربية وحكم سليمان. وقد جرى على مثاله ابنهُ الاديب جرجي افندي صاحب نسمات الصبا في منظومات الصبا

وفي السنة ١٩١٣ في ٧ نيسان توفي احد وجوه اسرة سرسق الكريمة ﴿جرجي بك دمتري سرسق﴾ ترجمان قنصلية المانية ورئيس الاحرار الماسونيين في بيروت والجاري على سننهم المتطرفة بازاء الدين وارباب. كان مولدهُ في السنة ١٨٥٢ وتلقى علومهُ في المدرسة الوطنية وفي مدرستنا البروتستانية القديمة واتقن العربية على الشيخ ناصيف اليازجي وساعدهُ علمه باللغات الفرنسوية والانكليزية والالمانية على الاختلاط بوجوه الاوربيين. ومما خدم بهِ الآداب العربية طبعهُ سنة ١٨٧٦ لتأليفهِ تاريخ اليونان عرَّبهُ عن المؤرخ دوروي الفرنساوي مع بعض اضافات ووضع كتاباً في التعليم الادبي ضاربـاً الصفح عن التعليم الديني ولهُ مقالات ادبيَّة وتاريخيَّة شتى في جرائد مصر وبيروت ومجلاتها

في هذه السنة ايضاً في ٧ آذار ١٩١٣ توفي في القدس الشريف الاديب ﴿هبة الله صرُّوف﴾ المولود سنة ١٨٣٩ في دير البلمند حيث كان ابوهُ الخوري سبيريديون معلماً. درس اولاً على ابيهِ ثمَّ تخرَّج في مدرستي الروم الارثوذكس في دمشق ثمَّ في القدس الشريف في مدرستها المعروفة بالصبية. ثمَّ خدم طائفتهُ خدماً مشكورة وزار دير طورسينا وتنقَّد مخطوطاتهِ سنة ١٨٧٠ ثمَّ أُنيط اليهِ تصحيح المطبوعات العربيَّة في القدس بدعوة البطريرك داميانوس سنة ١٨٩٩ وبقي هناك الى سنة وفاتهِ. ومن آثارهِ كتب دينيَّة كبيرَ بعض القديسين منها سيرة القديسين برفيريوس اسقف غزَّة ويوحنا الكوخي والكسيوس وكتاب الفريضة البيَّنة في الواجبات الكهنوتيَّة ونشر مواعظ والدهِ الروض الداني القطوف. ولهُ ايضاً جغرافيَّة فلسطين ومناهج القراءة

وفي ايَّار من السنة المذكورة ١٩١٣ فقدت الصحافة العربيَّة رجلاً من اساطينها ﴿سليم باشا الحموي﴾ المولود من اسرة ارثوذكسيَّة في دمشق سنة ١٨٤٣ وفيها تلقَّن مبادئ العلوم. ولما هاجر مع عائلتهِ الى القطر المصري انشأ في الاسكندريَّة مع اخيهِ عبدالله اوَّل جريدة يوميَّة سياسيَّة سنة ١٨٧٣ اشتهرت بالكوكب الشرقي. والحقها بجريدة «الاسكندرية» ثمَّ بجريدة الفلاح التي انتشرت انتشاراً واسعاً وخوَّلتهُ

الحكومة المصريَّة بسببها رتبة الباشويَّة ومنحتهُ اوسمة مختلفة . ومن آثاره الادبيَّة كتابهُ المنون ترجمان العصر عن تقدُّم مصر نشرهُ سنة ١٨٧٤

واشهر الادباء الذين غادروا هذه الفانية سنة ١٩١٤ رصيفنا ﴿جرجي بك زيدان﴾ ولد في بيروت في اواسط كانون الاوَّل سنة ١٨٦١ ودرس في مدرسة طائفته المعروفة بالثلثة الاقمار . ولمَّا فتحت الكليَّة الاميركيَّة مدرستها الطبيَّة كان بين اوَّل الطلبة الذين انتظموا فيها وقد نشر عنهُ ابنهُ في الهلال خبر ما حدث في المدرسة من المنازعات التي كان لهُ فيها نصيب وافر ثمَّ ما حصل بين المعلمين من الانقسام بسبب التعليم بالانكليزيَّة بدلًا من العربيَّة . على انَّهُ لم يهمل دروسهُ الطبيَّة حتى نال شهادة المأذونيَّة فيها . ثمَّ انتقل الى مصر سنة ١٨٨٢ وحرَّر مدَّةً في جريدة الزمان المصريَّة ثم رافق الحملة الانكليزيَّة على السودان بقيادة غوردون باشا فقامى فيها مدَّة ١٤ شهرًا ضروب الاتعاب ولقي اصناف الاخطار حتى نجا من اهوال تلك الحرب في اوائل السنة ١٨٨٥ . فعاد الى بيروت وصرف فيها سنةً يشتغل مع اعضاء المجمع العلمي الشرقي ونشر اذ ذاك كتابهُ الالفاظ العربيَّة والفلسفة اللغويَّة . ثمَّ سنحت لهُ الفرصة للسفر الى انكلترَّة فاكمل في لندن دروسهُ الطبيَّة واجتمع بمشاهير المستشرقين وتردَّد على المتحف البريطاني . ثمَّ عاد الى مصر وزاول الكتابة والتعليم في مدرسة الاورثذكس الكبرى . ثمَّ انتدبتهُ مجلَّة المقتطف ليكتب فيها فنشر عدَّة مقالات مستحسنة حتى امكنهُ من انشاء مطبعة على حسابهِ اخذ ينشر فيها مجلَّتهُ الهلال الشهيرة في تشرين الاوَّل من السنة ١٨٩٢ فلم يزل يديرها وينشئ مقالاتها الى سنة وفاتهِ . ولهُ فيها سلسلة روايات تاريخيَّة تكرَّر طبعها ونُقلت الى لغات شتى . ومن تآليفهِ التي أقبل عليها الجمهور لفوائدها كتاب تاريخ آداب اللغة العربيَّة وتاريخ التمدُّن الاسلامي وتاريخ العرب قبل الاسلام وتاريخ مصر وجغرافيتها ومختصر تاريخ اليونان والرومان وتاريخ انكلترَّة واداب العرب القدماء وطبقات الامم وعجائب الخلق . وممَّا لم تستحيَّ لهُ كتاب علم الفراسة الحديث مع ما فيهِ من الاوهام والخياليَّات . واقبح منهُ تاريخ الماسونيَّة العام الذي ذهب فيهِ الى مذاهب صبيانيَّة خرافيَّة اعتبرها كحقائق راهنة . على اننا لا ننكر انهُ كان احد اركان النهضة الادبيَّة الجديدة في الشرق الادنى

(لها بقيَّة)